

الى جانب احتلال العمل في المستوطنات ، أخذ العمال اليهود يعملون من أجل احتلال العمل في المدن وخاصة في مضمار البناء ، وغني عن القول أن العمل في هذا المضمار يعتبر من الاعمال الشاقة التي لا يتقنها الا العمال العرب او حسب المراجع الاسرائيلية « كانت حكرا على العمال العرب » فالمستوطنات الاسرائيلية خلال الهجرة الاولى والثانية اقيمت معظمها بأيد عربية ، كما ان الايدي العاملة العربية كان لها نصيب كبير في تشييد المستوطنات في الهجرات اللاحقة . ومع ذلك فقد حاول العمال اليهود خلال اشتداد الدعوة لسياسة العمل العبري دخول هذا الميدان الشاق ، حين قاموا بعملية احتلال أولى ، لبناء مدرسة يهودية في يافا . ففي عام ١٩٠٩ قرر تنظيم « محبي صهيون » اقامة مدرسة للبنات في يافا ، وبطبيعة الحال توجه المقاول اليهودي الى الايدي العاملة العربية ، بيد ان ذلك أحدث استياء في صفوف العمال اليهود في القدس الذين قرروا التوجه فوراً الى يافا واحتلال العمل هناك ، فخضع المقاول لرغبة العمال انيهود وطرد العمال العرب ، ويبدو ان حماس العمال اليهود أعماهم عن انتقان العمل في ائسادة المدرسة ، مما تسبب في انهيارها بعد مدة وجيزة ، وبالرغم من ذلك أصر العمال اليهود على اعادة بنائها من جديد . وقد اعتبرت هذه العملية بمثابة انجاز كبير واهتزت لها قلوب الداعين لعبرنة العمل فرحا وابتهاجا ، وتصف رسالة نشرت في صحيفة (هبوعيل هتسعير آذار ١٩٠٩) البهجة والسرور للذين عما النفوس بقولها : « كانت هناك فرحة غامرة عندما انتهى العمل في بناء الطابق الاول لمدرسة البنات الذي جرى هذه المرة بأيدي بنائين عبريين فقط . . . استدعى الدكتور حيسين البنائين الى بيته وهناك فرحوا معا . وقد عبرت لجنة المهندسين التي تشرف على العمل ، عن ثقتها ورضائها من عمل البنائين ، الذين أثبتوا مدى خطأ اللجنة السابقة التي تخوفت من الاعتماد على البنائين اليهود ، اما الدكتور حيسين فقد قال انه من الخطأ اتهام اعضاء اللجنة السابقة بأنهم لم يرغبوا في بنائين يهود ، بل الصحيح هو انهم لم يؤمنوا بأن بوسع اليهود انجاز العمل بشكل جيد . وبعد الاحتفال جرت تظاهرة في الشارع وانتهت الامسية بالخطابات ورفع الانخاب وبالاغاني والرقص » (٣١) .

بيد ان تظاهرة الاغاني والرقص الناجمة عن احتلال العمل في مدرسة واحدة تلتها مظاهرة صاخبة مشفوعة بالاصطدامات ، فعندما شرع العمل في بناء تل ابيب في عام ١٩٠٩ لم يستدع العمال اليهود للقيام بهذه المهمة ، بل فضل القائمون على بناء المدينة الوليدة العمال العرب ، وبالفعل تم وضع الحجر الاساسي للبيت الاول على أيدي عمال عرب واستمر العمال العرب في بناء مئات البيوت الاخرى ، مما ادى الى ظهور موجة استياء شديدة بين اوساط العمال اليهود الذين اخذوا يعقدون الاجتماعات وينطلقون بتظاهرات صاخبة ضد العمل العربي .

ومن الجدير بالذكر هنا وفي معرض الحديث عن محاولة احتلال العمال اليهود قطاع البناء ، ان نشير الى انه كان يحدث صراع قوي بين فئة المقاولين اليهود ، وبين العمال اليهود شبيه الى حد كبير بين الصراع القائم بين المستوطنين المالكين والعمال هناك ، فالمقاول اليهودي يجني ارباحا أكثر في حال تشغيل العمال العرب، الا انه في حالة ارتفاع حرارة الدعوة لاحتلال العمل كان يردد الجملة التالية : « يهود لماذا لا ؟ الا أنني لا أضمن الجدران » بمعنى انه لا يأخذ على عاتقه مسؤولية حدوث انهيار أو سقوط في المبنى الذي يشاركه بأيد يهودية ، ويقول دعاة العمل العبري : « ان هذا القول هو بمثابة الترويج لمقاطعة سرية ليس له مثيل في أية أمة او لغة » (٣٢) .

والحقيقة ان الذي يندر له مثيل في أية أمة هو قصة احتلال العمل بواسطة العمال اليهود ، وينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن الدور الشوفيني العنصري الذي قام به العمال